الفصل السادس

الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

ما هي دوافع الفتوحات الإسلامية؟

١ - تبليغ رسالة الله (ﷻ)، وهي رسالة الإسلام لكل البشر وفي كل بقاع الأرض، وهذا تكليف من الله (ﷻ) للمسلمين.

٢ - الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد في سبيل الله (ﷻ) وثمن الجهاد، والشهادة هي الجنة فالشهادة أصبحت هدفًا ومطلبًا وأمنية لكل مسلم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1]، ولقوله تعالى أيضًا: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2]، وقال الله أيضًا: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[3].

٣ - محاربة الفرس؛ لأنهم يقفون ضد نشر الإسلام وإيصال الدعوة الإسلامية للناس، ويدعمون أعداء الإسلام والمرتدين عنه، كذلك محاربة الروم لنفس الأسباب، ولأنهم يحرضون القبائل النصرانية ضد الإسلام والمسلمين.[4]

٤ - تخليص الأراضي العربية والقبائل المقيمة عليها من سيطرة الفرس والروم لفرضهم الضرائب الباهظة عليها، حتى أصبحت تتمنى الخلاص من سيطرة هؤلاء.

---

(١) التوبة، الآية ١١١

(٢) الحج، الآية ٦٨

(٣) الأنفال، الآية ٦٠

(٤) الطبري، ج ٣ ص ٢٤٩

٥ - آن الأوان لتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام، وتأهيلها لتحمل رسالة الإسلام وتنشرها خارجها؛ لأن ذلك تكليف من الله (ﷻ).

٦ - وجود قيادات إسلامية ذات كفاءة عالية وخبرة كافية في الحروب، وقدرتهم على وضع الخطط العسكرية المناسبة وتأمين حركة الجيش تقدمًا أو انسحابًا وتوفير ما يلزم المجاهدين من ماء وغذاء، وجمع الأخبار عن العدو كخالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم.

٧ - وجود القبائل العربية ضمن الدولتين الفارسية والرومانية شجَّعَ المسلمين على الفتوحات؛ لأنها ستكون أكثر تقبلًا للإسلام من غيرها بسبب التجانس الفكري والاجتماعي معها، كذلك الظلم الذي مارسته دولتا الفرس والروم ضد تلك القبائل العربية.

٨ - اضطهاد الروم البيزنطيّون لبعض الطوائف النصرانية مثل اليعاقبة والنساطرة في بلاد الشام بسبب اختلاف المذهب، شجَّعَ المسلمين على الفتوحات؛ لأن هؤلاء لديهم رغبة في التخلص من سيطرة الروم واضطهادهم لهم.[1]

٩ - معرفة المسلمين طبيعة البلاد والسكان المراد نشر الإسلام عندهم، وذلك من خلال النشاط التجاري مع تلك البلدان؛ لذلك سارت البعثات السلمية لنشر الإسلام وتبليغ الرسالة الإسلامية، وحيث فشلت كانت الحملات العسكرية.

١٠ - نوعية المجاهدين المثالية، فهم رجال يتحملون الجوع والعطش، وهم صبورون على الشدائد لأن جهادهم واستشهادهم ثمنه الجنة أو النصر، حتى جِمالهم وخيولهم متمرسة على تحمل التعب والجوع والعطش بسبب البيئة الصحراوية التي تعيش فيها، بينما أعداء الإسلام أبعدُ بكثير عن هذه الصفات، ولعل معركة ذات السلاسل قد أوضحت ذلك.

---

(١) د. محمد سهيل طقوش، ص ٧٥

١١ - كانت الشعوب تفتح القلوب للمسلمين قبل أن يتم فتح مدنهم وقراهم والحصون، والسبب ما كان يصل لتلك الشعوب المقهورة من تسامح المسلمين وعدلهم وحبهم لتحقيق المساواة ورفع الظلم وحرية العبادة.

١٢ - الغنائم والجزية هما مصدرٌ للدخل سواء للدولة أو للمجاهدين، وهي حصيلة الجهاد وليس غايته ومطلبه، وقد شارك في الفتوحات الإسلامية أهل مكة المكرمة والطائف وعرب اليمن ونجد والحجاز آملين في التخلص من الفقر والجوع وهي مكاسب مادية لا يمكن إنكارها وهي ثمرة طبيعية للجهاد وليست غايته لأن الغاية السامية تتحقق بالشهادة، وهي جنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أما المكاسب المادية فتتحقق بالنصر وقيمتها عند المسلمين لا تعدل جناح بعوضة كما وضح الحديث النبوي الشريف: "لو أن الدنيا تعدل جناح بعوضة ما أعطى اللهُ الكافر منها شربة ماء" والحروب والمعارك تسفر إما عن النصر والغنائم أو الهزيمة والخسائر، فجهاد المسلمين لغايات أنبل بكثير من المادة، كنشر الإسلام وتطبيق مبادئه السمحة المثالية ونشر العدل ورفع الظلم وتحقيق العدالة والمساواة والانتقال بالبشرية من عبادة البشر والحجر وعبادة ما لا ينفع ولا يضر إلى عبادة الله الواحد الأحد.[١]

١٣ - إيمان المسلمين بالقضاء والقدر جعلهم لا يخافون القتال ولا يخشون من الموت؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٢]

١٤ - إيمانهم بأن لكل أجل كتاب، لقوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، كل ذلك جعلهم يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ١١٥

(٢) الأعراف، الآية ٣٤

(٣) التوبة، الآية ٣١

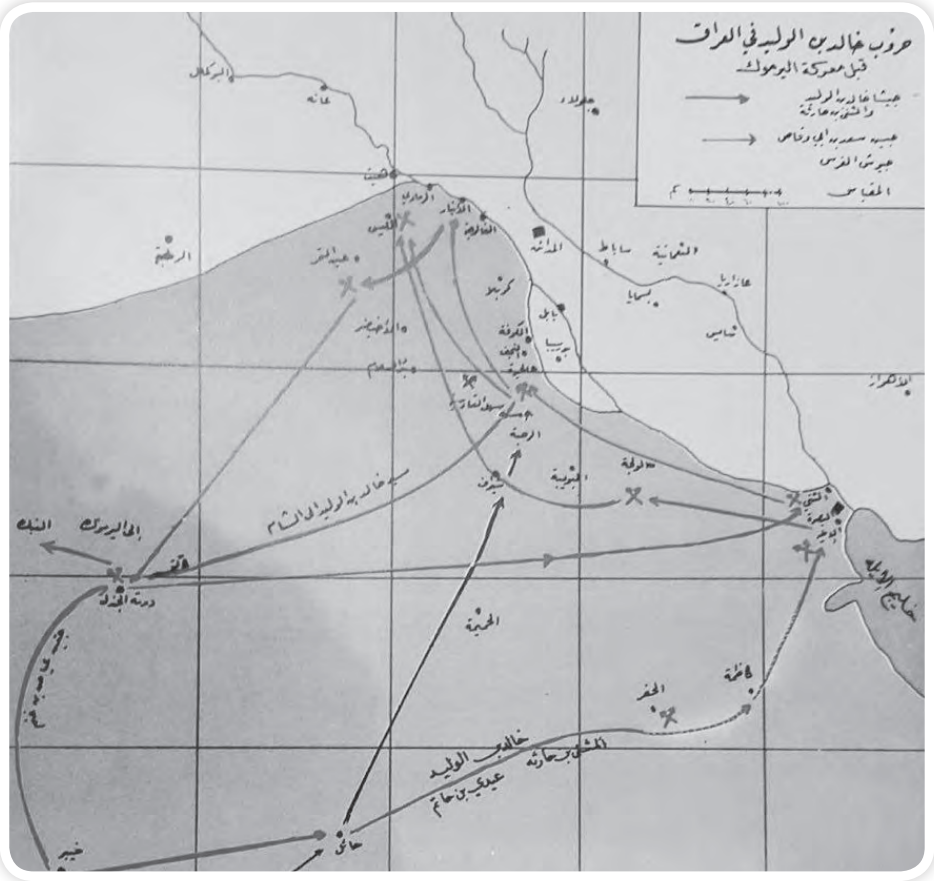

الفتوحات في بلاد فارس

١ - فتح العراق:

كان يسكن جنوب العراق "الحيرة" قبائل عربية من بكر وتغلب وربيعة وشيبان وطيئ، وقد خضعت لسيطرة الفرس الذين عينوا عليها واليًا فارسيًّا ليدير أمورها.

وقد أرسل النبي (ﷺ) كتابًا إلى ملك الفرس "كسرى أبرويز" يدعوه فيه إلى الإسلام، لكن كسرى مزّق الكتاب استكبارًا وجهلًا، وطلب من واليه على اليمن (باذان) أن يُرسل رجلين جلدَيْن إلى النبي (ﷺ)، فلما وصلا عند رسول الله (ﷺ) قال لهما: (في هذا اليوم قتل ملككم كسرى أبرويز على يد ابنه شيرويه، الذي ثار بمساعدة كبار الفرس، واستولى

على مُلك فارس)، ولما تأكد الرجلان من صدق ما قاله النبي (ﷺ) أسلما، وأرسل شيرويه إلى باذان كي لا يتعرض للنبي (ﷺ) بسوء. وقد فُتحت اليمن في عهد رسول الله (ﷺ) وأسلم باذان فولَّاه النبي (ﷺ) اليمن، وهكذا انضمت أول بلاد كانت تحت سيطرة الفرس للمسلمين، ثم انضمت بعدها البحرين وعمان، وتحررتا من سيطرة الفرس.

في السنة التاسعة للهجرة، أسلم المثنى بن حارثة الشيباني، وهو أحد أفراد قبيلة شيبان، وبعد وفاة النبي (ﷺ) طلب المثنى من الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أن يسمح له بمجاهدة الفرس فوافقه أبو بكر وأرسله، وبدأ بشنّ الغارات عليهم بأسلوب الكر والفر، ولما انتهى أبو بكر (رضي الله عنه) من حروب الردة، وجمع العرب على دين الإسلام أصبح همُّه نشر الإسلام؛ ليعم العدل وتتحقق المساواة بين الأمم والشعوب، لاسيما التي كان ملوكها يعتبرون أنفسهم في قمة الحضارة والرقي بينما رعاياهم عبيدٌ عندهم يعاملون بالظلم والقسوة، وقد كانت الممالك المجاورة للمسلمين - آنذاك - مملكة الروم شمالًا ومملكة الفرس "الساسانيين" شرقًا، وكانت تشمل مملكة الفرس (إيران، والعراق، والمناطق الواقعة غرب بحر قزوين، أي: الخزر)، وكان للفرس ديانات متعددة كالزرادشتية والمزدكية والمانوية، ومحورها عبادة النار التي أصبح لها معابد في معظم بلاد فارس، وكان مجتمعهم من طبقات على رأسها الملك وحاشيته، ثم رجال الدين وكبار الموظفين، ثم عامة الشعب.

بعد أن اطمأن الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على استقرار الأمور في شبه الجزيرة العربية، أرسل خالد بن الوليد إلى بلاد فارس؛ ليقوم بتبليغ رسالة الإسلام لشعوبها وملوكها، وذلك عام ١٢/ هـ بداية شهر محرم، وقد أمره أن يبدأ بالأبله.[1]

وقعة الأبُله (كاظمة ذات السلاسل):

اتّجه خالد بن الوليد إلى الأبُله، وأمده أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) بالقعقاع بن عمرو، وأرسل عياض بن غنم ليهاجم الفرس من شمال العراق عند قرية المصيخ (قرية على الفرات شمال العراق)، وأمده أيضًا بعبد يغوث الحميري، وأمرهما بأن يستعينوا بمن قاتلوا أهل الردة، وتم ذلك في شهر محرم عام ١٢هـ نيسان عام٦٣٣ / م.

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٣ الأبله: ثغر للفرس على الخليج العربي عند مصب نهر دجلة، وسميت ذات السلاسل؛ لأن الفرس كانوا يربطون أفراد جيشهم بالسلاسل حتى لا يهربوا من المعركة.

وصل خالد قرية الأبله، ووزَّع جيشه لثلاث فرق:

الأولى: على رأسها المثنى بن حارثة الشيباني.

الثانية: على رأسها عدي بن حاتم الطائي.

الثالثة: تحت إمرته هو.

وسارت الفرقتان قبله إلى مكان يسمى الحفير (موقع على الطريق بين مكة المكرمة والبصرة قريب من الأبله) وكان واليه أحد عظماء الفرس ويدعى (هرمز) المعروف بكراهيته للعرب، وكان العرب يحقدون عليه لكثرة غزوه لمناطقهم.

نزل جيش خالد بن الوليد في مكان لا ماء فيه؛ لأن هرمز سبقه إليه عند كاظمة، فقال خالد لجنده: (جالدوهم على الماء، فإن الله جاعله لأصبر الفريقين).

تقدم خالد وسط الصفوف، وطلب مبارزة هرمز، وتمكن من قتله، فأحاط جنود الفرس بخالد يريدون قتله لولا تدخل القعقاع فحمي وطيس المعركة وهزم الفرس، وأرسلت البشائر لأبي بكر الصديق مع خمس الغنائم وترك أربع أخماسها للمقاتلين. تابع المثنى بن حارثة المهزومين من الفرس؛ لأنه يعرف مناطقهم جيدًا. وصل خبر هزيمة الفرس لملكهم أزدشير في المدائن[1] فأرسل جيشًا من الفرس يقوده (قازان) الذي جمع المهزومين، ووصل حتى منطقة (الثني) وهي منعطف نهر دجلة عند البصرة.

وقعة الثني (منطقة المذار):

لما هزم خالدُ بن الوليد أهل المصبح طلب من القعقاع ومن أبي ليلى أن يسبقاه إلى كاظمة على أن يلتقي الثلاثة في الليل للإغارة على الثني من ثلاث جهات.

وكان هرمز – قبل مقتله – قد طلب المدد من ملك الفرس أزدشير لقتال المسلمين، فأمده بالقائد قازان بن قرياس الذي التقى بجيش المسلمين، وطلب المبارزة ليثأر لهرمز، فبرز له أحد فرسان المسلمين، وتمكن من قتله فاشتبك الجيشان، ودارت الدائرة على الفرس، فهزم جيشهم وقتل منهم ثلاثين ألفًا، وغرق منهم عددٌ كبير في نهر دجلة، وهرب (هلال بن عقه) خوفًا من خالد بن الوليد، وتم أخذ الجزية من الفلاحين، وأرسلت أخبار الفتح مع خمس الغنائم لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[2]

---

(١) مدينة على نهر دجلة جنوب بغداد، فيها إيوان كسرى.

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٢ الطبري، ج ٣ ص ٣٥٣ فكري فيصل، ص ٦٣ محمود شاكر، ص ٨٥

وقعة الولجة:

عندما علم ملك الفرس أزدشير بما حدث لجيشه في الثني؛ أرسل جيشًا آخر يقوده (الأندر زغر) وأمده بجيش ثانٍ يقوده (بهمن بن جاذويه) من المدائن، فعسكر في (كسكر) ثم تقدم إلى الولجة وتجاوزها، وعسكر جانب قوات الأندر، وكان خالد بن الوليد قد نصب كمينًا للقوات الفارسية لرصد تحركاتها بقيادة (بسر بن أبي درهم، وسعيد بن مرة) وسار خالد باتجاه القوات الفارسية، واشتبك مع جيش الأندر، وتمكن من هزيمته هو وقوات "بهمن" فخرج أفراد الكمين وحاصروا الأندر الذي حاول الهرب فمات عطشًا، وقد قتل في هذه المعركة أفراد من قبيلة بكر بن وائل؛ مما أغضب نصارى بكر، فاجتمعوا في مكان يسمى أليس؛ ليثأروا لقتلاهم من المسلمين[1]

وقعة أليس[2]:

كاتَبَ نصارى بني بكر ملكَ الفرس ليمدهم بقوات لقتال المسلمين، فكتب الملك أزدشير إلى قائده "بهمن" بن جاذويه المهزوم في معركة الولجة يأمره بالمسير لنجدة بني بكر النصارى، فأرسل "بهمن" من يسبقه إليهم وهو القائد (جابان) الذي وصل أرض بني بكر، وعسكر فيها، فأقبل خالد بن الوليد وتوسط الميدان في منطقة (أمغشيا) وطلب المبارزة، فبرز له أحد زعماء بني بكر فتمكن خالد من قتله، وحمل المسلمون على جيش الفرس ونصارى بني بكر الذين كانوا يطلبون من الجنود الصبر؛ أملًا في وصول النجدة والمدد مع القائد الفارسي "بهمن"، وقد صبر المسلمون وثبتوا ونفذ صبرُ نصارى بني بكر ولم يصل المدد؛ فولُّوا هاربين بعد أن قتل منهم أكثر من سبعين ألفًا، فأرسل خالد بن الوليد بخبر النصر وخمس الغنائم لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) الذي قال: (يا أهل قريش، غدا أسدُكم على الأسد فغلبه على خراذبلة، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد)[3] وكان هذا النصر في شهر صفر عام ١٢هـ.

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٥٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٣ شكري فيصل، ص ٦٤

(٢) قرية من الأنبار على نهر الفرات.

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٥٩

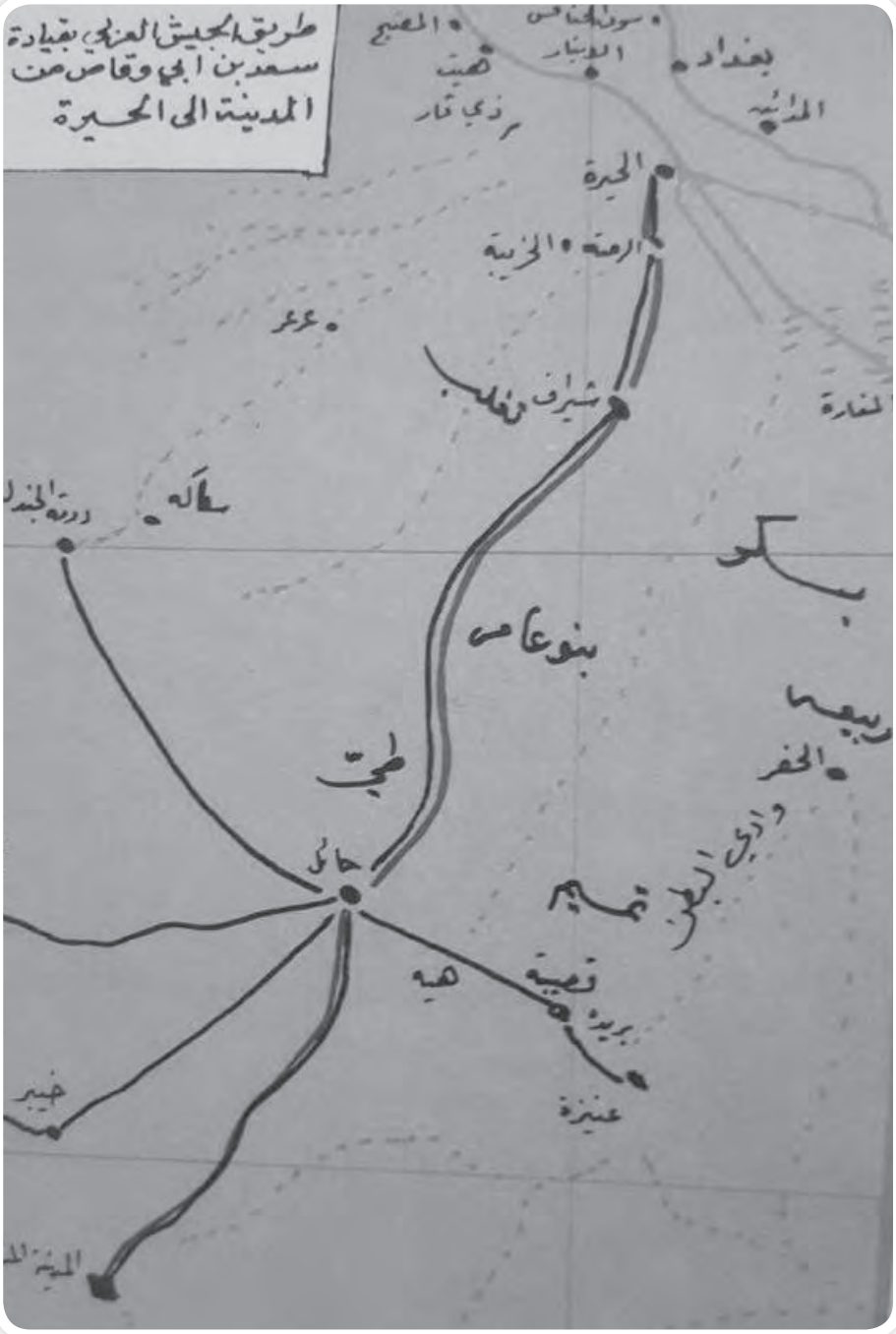
طريق الجيش العربي بقيادة
سعد بن ابي وقاص من
المدينة الى الحيرة
الحيرة
الرهة
الخزنية
شراف
بغداد
المدائن
الفلوجة
بنو عامر
بنو كلب
ربيعة
الخفر
حائل
تيماء
خيبر
عنيزة

فتح الحيرة[1]، وموقعة فرات بادقلي:

سار إليها خالد بن الوليد على نهر الفرات، وخرج إليه (مرزبان) الحيرة (الأراذبة) الذي أرسل ابنه فقطع الماء عن سفن المسلمين ببنائه سدًّا على نهر الفرات، فرسَتْ سفن المسلمين في قاع النهر مما أعاق وصول الأنفال والأثقال؛ لذلك استخدم خالد الخيول، وسار نحو ابن الأزاذبة، واشتبك معه وتمكن من قتله عند فرات بادقلي، وهزم جيشه وفتح السد الذي بناه ابن الأزاذبة، فعادت المياه إلى النهر. فلما علم بذلك الأزاذبة عبر النهر، وولّى هاربًا خاصة أنه علم بوفاة أزدشير ملك الفرس، واتجه نحو الحيرة، وتحصن بها، فتابعه خالد بجيشه، وحاصر قصور الحيرة من موقع الخورنق، وقام ضرار بن الأزور بمحاصرة قصر الأبيض وفيه (إياس بن قبيصة الطائي). وحاصر ضرار بن الخطاب قصر الغربيين وفيه عدي بن عدي، وحاصر ضرار بن مقرن المزني قصر بني مازن الغربي وفيه (ابن أكال)، أما المثنى بن حارثة فقد حاصر قصر (ابن بقلة) وفيه عمرو بن عبد المسيح، هكذا أحكم المسلمون الحصار على القوات الفارسية في القصور، فدعا خالد أمراء الحيرة للإسلام وأمهلهم يومًا وليلة، فرفضوا طلبه؛ لذلك حاربهم خالد، وتمكن من دخول الأديرة فصاح الرهبان والقسيسون بأهل القصور ليطلبوا الصلح من المسلمين، فأعلنوا قبولهم للصلح على واحدة من ثلاث (الإسلام أو الجزية أو القتال) فكفّ عنهم المسلمون، وتقدم عمر بن عبد المسيح وقال لخالد: (أسلمٌ أنت أم حرب؟) قال خالد: بل سلم، وما هذه القصور؟، قال: (بنيناها للسفيه فنحبسه فيها حتى ينهاه الحليم) فصالحهم خالد على الجزية، وهي (مائة ألف وتسعون ألفًا) فأهدوا له الهدايا على عادة ملوك الفرس، فأرسل خالد بأنباء النصر وبالهدايا التي اعتبرت من الجزية لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ولما رأى الدهاقون ما فعله خالد؛ صالحوه على ما يلي: (الحيرة من الفلاليج إلى هرمز تدفع ألفَ ألفٍ ماعدا جباية كسرى)، وقام خالد بمسح المنطقة مما وراء هرمز إلى شاطئ دجلة، وكتب إلى ملوك فارس كتابًا، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد، فالحمد لله الذي حلّ نظامَكم، ووهن كيدكم، وفرق كلمتكم، ولو لم نفعل ذلك كان شرًّا لكم، فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة)[2]

(١) قرية عند نهر الفرات قريبة من الكوفة.

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٥٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٥ الخضري بك، ج ١ ص ١٨٦

وكتب إلى المرازبة كتابًا آخر، هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أما بعد، فالحمد لله الذي فض حدتكم، وفرق كلمتكم، وجفل حرمكم، وكسر شوكتكم، فأسلموا تسلموا، وإلا فاعتقدوا في الذمة وأدّوا الجزية، وإلا فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر)[1]

وكان الفرس قد اختلفوا داخليًّا بعد موت ملكهم أزدشير؛ لعدم اتفاقهم على من يلي حكم البلاد الفارسية بعده، فلما وصلت كتب خالد اجتمعت نساء الفرس، واتفقن على تولية أحد أمراء فارس الملك، وهو (العزخزاد بن البنذوان) حتى تتمكن فارس من اختيار ملك أكثر كفاءة وصلاحية من بيت كسرى.

فتح الأنبار:

سار خالد بن الوليد من الحيرة إلى الأنبار على شاطئ الفرات شمال الكوفة لنجدة (عياض بن غنم)[2] وكان على مقدمة جيشه (الأقرع بن حابس) وكان على جيش الفرس (شيراز صاحب ساباط) فاشتبك معه المسلمون حتى أجبروه على طلب الصلح حسب شروطهم، فتركه خالد يذهب إلى مأمنه، حيث يريد فذهب إلى "بهمن"، استخلف خالد الزبرقان بن بدر على الأنبار، واتجه إلى عين التمر.

فتح عين التمر (غرب الأنبار):

وصل خالد بن الوليد إلى عين التمر، فوجد فيها جموع الفرس، وعليهم القائد (مهران بن بهرام جوبين) ومعهم عدد كبير من عرب عين التمر، وهم حلفاؤهم من (تغلب، وإياد، والنمر) يقودهم (عقة بن أبي عقة) وكانوا تحت حكم الأكاسرة. تقدم الفرس بقيادة (بهرام) فقال عقة لبهرام: (إن العرب أعلم بقتال العرب، فدعنا وخالد. قال مهرام: صدقت، لأنتم أعلم بقتال العرب، وإنكم لمثلنا في قتال العجم) لذلك تخلى مهرام عن عقة وتركه يواجه خالد بن الوليد لوحده[3] وعندما حدثت المعركة تمكن خالد بن الوليد من أسر (عقة) مع عدد كبير من أفراد جيشه، وهرب من استطاع الهرب، ولما علم مهران بما

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٨ عبد الوهاب النجار، ص ٨١

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٨ عبد الوهاب النجار، ص ٨٢ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٠

حصل مع (عقة) ولّى هاربًا هو وجيشه، وترك الحصن وفيه من انهزم من قواته، وقد طلبوا الأمان من خالد بن الوليد، لكنه لم يؤمّنهم واشتبك معهم، وقتل منهم الكثيرَ فوجد بينهم أربعين غلامًا كانوا يتعلمون الإنجيل، فوزعهم بين جنود المسلمين، وكان منهم والد موسى بن نصير، وسيرين والد محمد بن سيرين، وحمران مولى عثمان بن عفان، وعندما اطمأن خالد بن الوليد على عودة عين التمر لحضن المسلمين ترك فيها (عويم بن كاهل الأسلمي)، وأرسل بالخمس والبشائر لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[1]

فتح دومة الجندل:

كان عياض بن غنم مكلفًا بفتح دومة الجندل، فعندما فرغ خالد بن الوليد من عين التمر؛ اتجه لمساعدة عياض بناءً على طلب من النبي (ﷺ)، وكان فيها (أكيد بن عبد الملك) فنجح رجال خالد بن الوليد من أسره مع بعض رجاله الذين كانوا يصطادون البقر في ليلة مقمرة، وأرسلوهم إلى النبي (ﷺ) فحقن دم أكيد وصالحه على الجزية وأعاده إلى قريته، بينما قتل أخاه، فلما توفي النبي (ﷺ) نقض أكيد عهدَه الذي كان قد قطعه على نفسه وعن قومه أمام النبي (ﷺ)، فلما أصبح أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خليفة للمسلمين أرسل خالد بن الوليد وعياض بن غنم لفتح العراق، فاجتمع عليهم في دومة الجندل كثيرٌ من نصارى العرب وحلفائهم، فجاءهم (وديعة ومعه كلب وبهراء، وانضم إليه ابن دبرة بن روفانس وأتباعه، وابن الحدرجان في الضجاعم، وابن الأيهم في طوائف غسان وتنوخ، ومؤيدوهم من الفرس)[2]

فتغلبوا على عياض بن غنم؛ لأنه تحرك إليهم قبل أن يصل خالد بن الوليد ليساعده، وعندما وصل خالد وجَّه له اللوم؛ لاستعجاله، واستعد الاثنان لقتال أهل دومة الجندل. كان في دومة الجندل زعيمان هما الجودي بن ربيعة وأكيد بن عبد الملك، فقال أكيد للجودي: (أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائرًا منه، ولا أحدٌ في الحرب، ولا يرى وجه خالد قوم أبدًا قلوا أو كثروا؛ إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم) لكن جماعة الجودي رفضوا، فقال لهم: لن أوافقكم على حرب. وتركهم ومضى، فأرسل خالد

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٧٩ تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٨١٤ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٦٩ شكري فيصل، ص ٦٩ عبد الوهاب النجار، ص ٨٤

(٢) الخضري بك، ج ١ ص ١٨٩ عبد الوهاب النجار، ص ٨٤ محمود شاكر، ص ٨٧

رجاله فتتبعوه وعارضوه في الطريق وأتوا به لخالد فضرب عنقه؛ لأنه نقض عهده الذي قطعه لرسول الله (ﷺ) في دفع الجزية، وهاجم خالد الحصن الذي يتحصن فيه الجودي، ونجح في فتحه، فأقام به خالد حتى اطمأن على هزيمة أعدائه، ثم رحل.[1]

وقعة الحصيرة، والخنافس:

ثار عرب الجزيرة حمية لمقتل وهزيمة (عرب عين التمر، وزعيمهم عقه) فطلبوا العون من الفرس، فأرسل لهم الفرس جيشين عظيمين بقيادة (زرمهر وروزبة) اللذيْن وصلا (الحصير والخنافس) قرب الأنبار، وعندما سمع بذلك القعقاع خليفة خالد على الحيرة؛ أرسل سريتين منعتهما من التوغل في الريف، وعاد خالد إلى الحيرة فأرسل القعقاع لنجدة الزبرقان أبا ليلى (أغيد بن فدكي) إلى الحصيد للقاء الفرس، وأرسل عروة بن الجعد إلى الخنافس فاشتبكوا مع الفرس، وقتلوا قادة جيشهم (روزبة وزرمهر) وغنموا جميع ما في (الحصير) فانسحبت الأعاجم إلى الخنافس وبها (المهبوذان)، فلحق به أبو ليلى وهزمه، فانسحب إلى المصيخ، وفيها بعض عرب الجزيرة، فكتب خالد إلى أبي ليلى والقعقاع للحضور إلى المصيخ، وتم اللقاء والتجمع في هذا المكان حيث اشتبكوا مع الفرس، وهزموهم[2] وتوجه خالد إلى (ربيعة بن بجير التغلبي) لأنه جمع جيش الفرس في منطقة (الثني والبشر شرق الرصافة) غضبا لمقتل (عقة) وتحالف مع (الهذيل بن عمران، وروزبة، وزرمهر) ففاجأهم خالد بن الوليد بغارة سريعة، فلم يفلت من جيش (بجير) أحدٌ، وتمت هزيمتهم فأرسل خالد ببشائر النصر والأخماس لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وقد قيل (امتلأ الفضاء قتلى فما شبهوا بهم إلا غنمًا مصرعه).[3]

وقعة الفراض:

اجتمع الفرس والروم وبعض القبائل العربية الحاقدة لقتال المسلمين، وذلك بسبب ضياع سيادتهم ومعتقداتهم التي خسروها في ظل الإسلام، وكان اجتماعهم في الفراض على تخوم الشام والعراق والجزيرة، وكان الجو - آنذاك - شديد الحرارة، والمسلمون في رمضان وهم صائمون، وذلك عام ١٢ / هـ، فسار خالد بمن معه من

(١) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧١ الخضري بك، ج ١ ص ١٩٠ عبد الوهاب النجار، ص ٨٥

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٠ الكامل لابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧١ شكري فيصل، ص ٦٧ محمود شاكر، ص ٨٧

(٣) الطبري، ج٣ ص ٣٨١ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٣

(منطقة البشر إلى الرضاب) ولم يلق مقاومة حتى وصل إلى الفراض فأفطر فيها المسلمون ثم عبروا نهر الفرات واشتبكوا مع تجمع الأعداء، وفيه قبائل (تغلب، وإياد، والنمر) فهزمهم المسلمون شرَّ هزيمة، وصدق قول الله تعالى ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1] وقتل منهم الآلاف[2] وعاد الجيش الإسلامي المنتصر والذي يقوده (عاصم بن عمر، وشجرة بن الأغر) إلى الحيرة، وتأخر عنه خالد بن الوليد؛ لأنه سلك طريقًا آخر إلى مكة المكرمة؛ ليلحق بالحج دون أن يعرف القادة الذين كانوا معه ذلك حتى عاد من الحج هو وجماعته وعليهم آثار الحجاج كحلق الرؤوس أو التصريح بالحج، وهذا الأمر جعل أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) يحمل على خالد؛ لأن فيه كبرياءً واعتدادًا بالنفس وشيئًا من الغرور؛ لأنه لم يطلب الإذن بالحج، وكانت جبهة الشام بحاجة إلى المدد ضد الروم، فوجد أبو بكر أن ما فعله خالد - إضافة لحاجة أهل الشام له، وهو قائد ذو كفاءة عالية - فرصة استغلها أبو بكر (رضي الله عنه) لسحبه من العراق الى الشام، وبذلك يكون قد حقق أمرين:

١ - لبى مطلب أهل الشام بإرساله قائدًا يعتز فيه القاصي والداني، وشهد بكفاءته الأعداء قبل الأصدقاء.

٢ - عاقب خالدًا، لكن بأسلوب لطيف وحكمة بالغة دون أن يجرح مشاعره أو يوجه له الاتهام المباشر.

أرسل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) رسالة إلى خالد بن الوليد، جاء فيها:

(سرْ حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك؛ فإنهم شجوا وأشجوا، وإياك أن تعود لمثل ما فعلته، فإنه لم يشج بعون الله من الناس شجوك، ولم ينزع الشجي من الناس نزعتك.). وكان انصراف خالد إلى الشام في صفر سنة ١٣هـ، فترك خالد العراق للمثنى بن حارثة الشيباني الذي أقام في الحيرة، وجهز المسلمين لقتال الفرس من جديد؛ لأنهم تجمعوا بجيش يقوده (هرمز)، وكان ملكهم (شهر يزان بن أزدشير)[3]

---

(١) المجادلة، الآية ١٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٣ الكامل، ج ٢ ص ٢٧٢ الخضري بك، ج ١ ص ١٩١ محمود شاكر، ص ٨٨

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٤ الكامل، ج ٢ ص ٢٧٤ الخضري بك، ج ١ ص ١٩٠ محمود شاكر، ص ٩٠

وقعة بابل:

خرج المثنى بن حارثة من الحيرة لقتال هرمز عند بابل، وهي مدينة الحلة اليوم، فاشتبك معه وتمكن من هزيمته. وفي هذه الأثناء، توفي ملك الفرس شهر يزان، وظهرت الخلافات الداخلية في مملكة فارس من أجل السلطة والملك، وهذا شغلهم عن المسلمين لبعض الوقت.

لم تأت تعليمات جديدة من أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فذهب المثنى بن حارثة إلى المدينة المنورة، وترك على جيشه (بشير بن الخصاصية)، وعندما وصل المدينة المنورة وجد أبا بكر مريضًا، وقد استحضر عمر بن الخطاب، وأوصاه بما يلي: (إني لأرجو أن أموت يومي هذا، فإن مت فلا تمشِيَنّ حتى تندب الناس مع المثنى، ولا تشغلكم مصيبة عن أمر دينكم ووصية ربكم، فقد رأيتني وقت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما صنعته، وما أصيب الخلق بمثله، وإذا فتح الله على أهل الشام؛ فاردُدْ أهل العراق إلى عراقهم، فإنهم أهله وولاة أمره، وأهل الجرأة عليهم) وتوفي أبو بكر، وحدُّ فارس عند نهر الفرات.